

تكتيك المبالغة

(مصطلح يستخدم "قدرات القوة العسكرية أو تكتيكاتها الفريدة" لشل حركة الخصم وإجبار قواته على التوقف عن استخدام معداتها أو تكتيكاتها)

دفعت ضربات الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية المتطورة بشكل متزايد مؤخراً حلفاء أمريكا في الشرق الأوسط إلى طلب الحماية من بكين..

مايكل دوران، وجان كاساب اوغلو -

معهد هادسون

بأي مقياس موضوعي، تستمر القوة العسكرية للولايات المتحدة في تقزيم قوة الجمهورية الإسلامية.

أثبتت الاحتجاجات في شوارع المدن الإيرانية أن النظام في طهران عبارة عن قشور هشّة، ولا يحظى بشعبية كبيرة، ويعاني من عدد لا يحصى من نقاط الضعف التي يمكن أن تستغلها سياسة أمريكية بارعة.

تمتلك الولايات المتحدة القدرات العسكرية لمنع إيران من التقدم نحو قنبلة نووية، وردعها عن تهديد جيرانها، ويمكنها فعل ذلك دون إثارة حرب كبرى.

ولديها ما يكفي من القوة لطمأنة الحلفاء مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، أنه يمكنهم النوم بشكل مريح تحت مظلة القوة الأمريكية، علاوة على ذلك، يريد الحلفاء البقاء داخل النظام الأمريكي. وبالتالي فإن تآكل النظام الأمريكي هو نتيجة للارتباك في واشنطن، أكثر منه نتيجة للتحويلات الموضوعية في القوة العالمية، ولكن كيف ومتى سيتوقف هذا الالتباس، بحيث تتحول إلى علاقة مفيدة للطرفين؟

عندما زار الرئيس جو بايدن المملكة العربية السعودية في يوليو، شعر بعدم الثقة، وحاول تبديد هذا الشعور، وقال: "لن ننسحب ونترك فراغًا تملأه الصين أو روسيا أو إيران." لكن مثل هذه الوعود تفشل في طمأنة الحلفاء، الذين لا يبحثون عن كلمات حلوة، بل عن عمل حازم يردع إيران.

لقد رأينا هذا النوع من الخطأ في الماضي؛ في خطابه الشهير أمام نادي الصحافة الوطني في 12 كانون الثاني (يناير) 1950، عرّف وزير الخارجية دين أنتشيسون "المحيط الدفاعي" لأمريكا في آسيا بطريقة أغفلت كوريا الجنوبية، وبعد أسبوع، صوت الكونجرس ضد مشروع قانون مساعدة كبير لكوريا الجنوبية، وبعد ستة أشهر، اقتحم الكوريون الشماليون جنوبيًا بدعم من الصين والاتحاد السوفيتي، الذين استنتجوا على الأرجح أن الولايات المتحدة كانت غير راغبة في حماية حليفها.

كان هذا الهجوم أول استخدام لنظام ثاد في القتال، وبعد أسبوع واحد، في 24 يناير، عادت بطاريات ثاد إلى العمل، لمواجهة صواريخ إيرانيي الصنع موجهين مباشرة إلى الظفرة، حيث يتمركز حوالي 2000 جندي أمريكي، بينما كانت الصواريخ تتجه نحو الأمريكيين، وعملت صواريخ THAAD و Patriot الاعتراضية معًا على إسقاطها، ما أدى إلى تجنب كارثة.

في ذلك اليوم، أطلق الحوثيون في وقت واحد صواريخ باليستيين على المملكة العربية السعودية، تم اعتراض أحدهم، وجرح الآخر شخصين.

تظل العناصر الأساسية في هذه الهجمات محاطة بالسرية، وامتنع الأمريكيون والإماراتيون والحوثيون أنفسهم عن تحديد بعض المواقع المستهدفة، وكل ما نعرفه أنه ربما كان برج خليفة أحد الأهداف المجهولة، وهو أطول مبنى في العالم يستوعب ما يصل إلى 10000 شخص.

كان من الممكن أن تتسبب هذه الهجمات بسهولة في وقوع إصابات جماعية، ما يؤدي إلى وقوع ضحايا أكثر من عمليات القاعدة في 11 سبتمبر.

إذا كان الحوثيون قد ضربوا الظفرة، فإن الخسائر في الأرواح الأمريكية كانت ستدفع الولايات المتحدة إلى الحرب، ومع ذلك، في ما أصبح نمطًا واضحًا منذ وصول الرئيس بايدن إلى منصبه، لم تطلق القوات الأمريكية أي

رد عسكري كبير على ما كان يعد هجومًا إيرانيًا على القوات الأمريكية - وهو حدث - من حيث تأثيره الجيوسياسي - كان لا يقل أهمية عن الأخبار التي يتم تداولها على نطاق واسع بأن إيران تزود جيوش الزعيم الروسي فلاديمير بوتين بصواريخ وطائرات بدون طيار، لاستخدامها في حرب أوكرانيا.

في الواقع التطورات في الخليج العربي وأوكرانيا مرتبطة بعضها ببعض، وتستقبل السعودية والإمارات صواريخ وطائرات مسيرة إيرانية متطورة منذ حوالي خمس سنوات حتى الآن.

لقد شجعت الحصانة التي تتمتع بها إيران من الهجوم المضاد على دعم روسيا، علاوة على ذلك، فقد وضع حلفاء أمريكا الخليجيون في سعي لتحقيق الأمن، الأمر الذي أدى - بشكل متزايد - إلى إخراجهم من أحضان الولايات المتحدة إلى أحضان الصين المنتظرة، وأعلنت وزارة الخارجية السعودية الأسبوع الماضي، عن ثلاث لقاءات على الأقل بين السعوديين ودول الخليج والدول العربية الإقليمية مع الصينيين، بالتزامن مع الزيارة المرتقبة للرئيس الصيني شي جين بينغ إلى المملكة.

من الأشخاص المعنيين الذين لاحظوا وحلوا التهديد الذي تمثله قدرات الطائرات بدون طيار، والصواريخ الإيرانية التي تتقدم بسرعة أكثر من أي شخص آخر تقريبًا هو الجنرال كينيث ماكنزي جونيور، الذي تقاعد في أبريل كقائد للقيادة المركزية الأمريكية، وقيادة العمليات القتالية المسؤولة عن مقاضاة الحروب في الشرق الأوسط الكبير.

في 6 أكتوبر، ناقش ماكنزي تحسين جودة الأسلحة الإيرانية، مع التركيز على ثلاثة أنظمة - على وجه الخصوص - : الصواريخ الباليستية، وصواريخ كروز، والطائرات بدون طيار، وقال في حديث عام في بوليسي إكستشينج، لندن مؤسسة فكرية، قال: إن "المبالغة: هي مصطلح عسكري يعني أن لديك القدرة على الهجوم، ولن يكون خصمك قادرًا على إقامة دفاع ناجح."

جاءت تصريحات ماكنزي - في الوقت المناسب - صريحة، لكن تم تجاهلها. تعتمد المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة على الولايات المتحدة في الدفاع عنهما، فإذا امتلكت إيران تفوقًا زائدًا ضدهما، فهل تمتلك أيضًا تفوقًا ضد الولايات المتحدة؟!.

إن ثقة إيران في قدرتها على تهديد القوات الأمريكية دون تكلفة، تشير إلى أنها تفعل ذلك، وقال الجنرال حسين سلامي - قائد فيلق الحرس الثوري الإيراني، فرع النخبة في القوات المسلحة الإيرانية - في سبتمبر 2021، "لقد بنينا القوة لهزيمة الولايات المتحدة، داخل مجمع مطار في مدينة أربيل شمال العراق، وتابع الجنرال: "اليوم لم نعد نرى الولايات المتحدة خطرة، لكننا نشهد الولايات المتحدة الفاشلة والفارة والمكتنبة."

لم يكن تصريح سلامي مجرد صخب إعلامي فحسب، بل يمكن لإيران تزويد القوات المسلحة للاتحاد الروسي بطائرات بدون طيار، وصواريخ لغزو أوكرانيا جزئيًا؛ لأن منتجاتها تستحق الشراء، وجزئيًا لأنها لم تعد تخشى ردًا أمريكيًا على الإجراءات التي قد تؤدي إلى مقتل حلف شمال الأطلسي في ساحة المعركة، سواء من أراضيها أم من العراق أم سورية أم لبنان أم اليمن أم غزة، ويمكن لإيران أن تضرب المراكز السكانية الرئيسية، والبنية التحتية الوطنية الحيوية لكل دولة في الشرق الأوسط تعتمد على الولايات المتحدة في أمنها، وضرب وتعطيل حركة الناقلات عبر مضيق هرمز سهلة، كما هو الحال مع كل قاعدة أمريكية في الشرق الأوسط.

وبينما تخفف أمريكا العقوبات على أمل جذب الإيرانيين للعودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA)، كما يُعرف الاتفاق النووي الإيراني رسميًا، فإن جودة الطائرات بدون طيار وحزم الصواريخ الإيرانية تهدد بإحداث قفزة كبيرة أخرى إلى الأمام.

إن نظرة خاطفة على شجاعة الصواريخ الروسية الصنع التي يطلقها الجيش الروسي على أوكرانيا اليوم تقدم نافذة على أسلحة إيران الغد، فعلى سبيل المثال، يعتمد صاروخ كروز M7279، وهو صاروخ كروز روسي يهاجم أهدافًا أوكرانية بشكل روتيني، على المكونات الغربية، بما في ذلك في أنظمة الكمبيوتر والملاحة الخاصة بمهمته - والتي استهدفها واشنطن من خلال العقوبات. ومع ذلك، إذا تم إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة، فإن الحرس الثوري الإيراني سيذهب في جولة تسوق، وستمتلئ جيوبه بالنقود، وستفتح أفضل الأسواق العالمية أبوابها على مصراعها، وسيقوم منتجوا الأسلحة الإيرانية بدمج الأجزاء الغربية في صواريخهم الباليستية، وصواريخ كروز، وطائرات بدون طيار، مما يجعلها أكثر ذكاءً، وأسرع وأكثر قدرة على

المناوره، ويزيد من التهديد الذي يشكلونه على القواعد الأمريكية، وعلى حلفاء الولايات المتحدة.

وتقدم ساحة المعركة في أوكرانيا - بالفعل - دليلاً على أن الإيرانيين، حتى أثناء العقوبات، يقومون بتحسين أسلحة محلية الصنع بأجزاء أجنبية - مع وجود مكونات إلكترونية من الشركات المصنعة في تكساس داخل طائرات بدون طيار إيرانية؛ تم إسقاطها، كما أن تكامل التكنولوجيا الغربية سيجعل أسلحة إيران أكثر جاذبية في سوق السلاح الدولي.

تاريخياً عانت الأسلحة الإيرانية من سمعة عدم موثوقيتها، بسبب الهندسة العكسية غير الكاملة للتصاميم الفرنسية والأمريكية والصينية والروسية، والاعتماد شبه الحصري على التصنيع المحلي بجودة رديئة نسبياً، ومع ذلك سيسمح رفع العقوبات الأمريكية للحرس الثوري الإيراني ببناء سلسلة إمداد موثوقة للأجزاء الغربية، وسيؤدي توحيد المنتجات الإيرانية الناتج عن ذلك إلى تقليل تكاليف الوحدة، وستزداد المبيعات والأرباح بشكل كبير، مع استمرار إيران في صعودها كمصدر عالمي للأسلحة، وسيزداد حجم ترساناتها وتطورها وقوتها النارية، وسوف يزيد المبالغة.

تتكون القدرة العسكرية التدميرية للحرس الثوري الإيراني من أربعة مكونات أساسية:

1- الطائرات بدون طيار، 2- الصواريخ، 3- الفنون العملياتية، 4- شبكة كبيرة من القوات بالوكالة.

وإذا كان الحرس الثوري الإيراني قد أظهر إبداعاً خاصاً فيما يتعلق بالصواريخ، والطائرات بدون طيار، فذلك لأن هذه الأسلحة تتلاءم جيداً مع الثقافة الاستراتيجية للمنظمة.

وللحرس الثوري مهمتان رئيستان: حماية الثورة في الداخل، ونشرها في الخارج؛ بصفته حارساً عسكرياً مكلفاً بحماية النظام من الهجمات؛ من قبل السكان المعادين بشدة، وينجذب الحرس الثوري غريزياً نحو أسلحة يمكن تشغيلها بواسطة شبكة محكمة من الموالين الموثوق بهم، دون تعاون أعداد كبيرة من المجندين غير الموثوق بهم سياسياً.

فبالنسبة لمجموعة مكلفة بشكل روتيني بتنفيذ هجمات إرهابية، فإن جاذبية الأسلحة التي يمكن أن تبتث الرعب في صفوف السكان المدنيين، أمر مفضل.

1- الطائرات بدون طيار: يعد برنامج تصنيع الطائرات بدون طيار، التابع لشركة Run's أحد أقدم البرامج في الشرق الأوسط، ويعود تاريخه إلى الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينيات، وتمنح التطورات الأخيرة دخول إيران العضوية في نادي تلك البلدان التي تنتج ذخائر تسكع، أو طائرات "كاميكازي" الذكية بدون طيار.

وتم اختبار معظم الطائرات بدون طيار الإيرانية، بعد أن تم نشرها في قائمة طويلة من النزاعات الممتدة من الخليج إلى اليمن وسورية، والقائمة آخذة في الازدياد، وبدأت لدى الجيش الروسي- على وجه الخصوص بأوكرانيا- ترسانة أصلية خاصة به، من الأنظمة الجوية غير المأهولة، لكنه يستخدمها في الغالب للمراقبة واكتشاف المدفعية وفي شبكات الحرب الإلكترونية، على النقيض من ذلك، يعطي برنامج الطائرات بدون طيار الإيراني الأولوية لأصول الضربة، التي تعمل بالتنسيق مع الصواريخ؛ لقصف الأهداف في عمق أراضي العدو.

2- القدرة الصاروخية: فوفقًا لوكالة الاستخبارات الدفاعية، تمتلك إيران "أكبر ترسانة باليستية وأكثرها تنوعًا في الشرق الأوسط، مع مخزون كبير من الصواريخ الباليستية قصيرة المدى، والصواريخ الباليستية متوسطة المدى التي يمكنها ضرب أهداف في جميع أنحاء العالم؛ حتى بعد 2000 كيلومترا (1,243 ميل) من حدود إيران " ويمتلك حزب الله - الوكيل الأول لإيران - ثاني أكبر ترسانة صواريخ في الشرق الأوسط، أكبر من تلك التي تمتلكها تركيا أو إسرائيل.

وتشتمل ترسانات الصواريخ الإيرانية على أنظمة استراتيجية مناسبة، كنظم إيصال للأسلحة النووية، أما بالنسبة لمخزونهم قصير المدى، فهو يشتمل الآن على صواريخ باليستية محمولة على الطرق، صالحة للاستخدام في ساحة المعركة، وسهلة النقل إلى الوكلاء.

من بين هذه الأصول، صواريخ إيران التي تعمل بالوقود الصلب، والمتمركزة على خط الأساس فاتح 110، تقلل من دورة الإطلاق، وهي أكثر فائدة في الاشتباكات في ساحة المعركة.

في السنوات الأخيرة، حققت إيران أيضاً تقدماً كبيراً في تطويرها لصواريخ كروز.

3- الفن التشغيلي: ربما بين منتجي الأسلحة العالميين بشكل فريد، يتحمل الحرس الثوري الإيراني تقليدياً المسؤولية الأساسية عن الصواريخ والطائرات بدون طيار، التي يعتبرها مكونات لا تنفصل عن قدرة الضربة الموحدة - تربطهم ببعضهم بعضاً في كل مرحلة من مراحل حياتهم من التصنيع، إلى الانتشار القتالي، وتنبثق صواريخ إيران وطائراتها بدون طيار من نفس الشبكات الصناعية، وتتشارك بعض الأسلحة في أنظمة فرعية مهمة، ويخزن الحرس الثوري الإيراني الطائرات بدون طيار، والصواريخ معاً في منشآت تحت الأرض، وينشرها جنباً إلى جنب مع مفاهيم العمليات المبتكرة والمتطورة.

4- القوات والمليشيات الرديفة: مثل حزب الله والحوثيين وعشرات الميليشيات العراقية والسورية؛ الذين يساعدون طهران في مواجهة الولايات المتحدة وحلفائها في "محور المقاومة" الواسع، ويقوم الحرس الثوري الإيراني بتدريب الوكلاء أيديولوجياً، ومنحهم التماسك التشغيلي، وربطهم بطهران، بينما ينشر الحمض النووي الثوري في جميع أنحاء الشرق الأوسط، ويزود الحرس الثوري الإيراني حزب الله بمهارات التصنيع، ويزود الحوثيون بالتعليمات في تجميع الأسلحة من الأجزاء، بالإضافة إلى ذلك، تعلم طهران وكلاءها مفاهيم مميزة للعمليات على أساس دمج الطائرات بدون طيار والصواريخ في القتال.

إن توفير هذه الأنظمة، وطريقة إيران الفريدة للجمع بينها معاً، هو المفتاح لإنشاء شبكة إرهابية عابرة للحدود، يمكن أن يكون لها تأثير هائل في ساحة المعركة.

عندما يتعلق الأمر بتصدير الثورة الإسلامية، فإن الجودة الشاملة للصواريخ، وخاصة الصواريخ الباليستية، تضيف إلى بريقها في عيون

الحرس الثوري الإيراني، في إشارة إلى امتلاك أسلحة نووية، تشكل الصواريخ الباليستية قوتها، وتعزز هيبة الجمهورية الإسلامية؛ من خلال وضعها - على الأقل بشكل رمزي - على نفس مستوى الولايات المتحدة وروسيا والصين. عند استخدامها بشكل غير متكافئ ضد الولايات المتحدة وحلفائها، فهي بمثابة دعاية من خلال العمل، مما يدل على قوة "محور المقاومة" وعجز أعدائه.

قال الجنرال ماكنزي في لندن: "أود أن أزعج أن امتلاك قدرات [الصواريخ والطائرات بدون طيار] ربما يكون - يومًا بعد يوم - أكثر أهمية للإيرانيين من [البرنامج] النووي". وتابع: إن القادة الإيرانيين "أفسدوا اقتصادهم، وعزموا صناعتهم على إنتاج أنظمة الأسلحة هذه، وهذه أنظمة فعالة للغاية".

ومنذ تدخل الحرس الثوري الإيراني وروسيا في سورية عام 2015، أصبحت القوة المتزايدة، وتفوق القدرة العسكرية الإيرانية التدميرية، واضحة.

وجاء الهجوم المباشر الأكثر دراماتيكية للحرس الثوري الإيراني على منشأة أمريكية في 8 يناير 2020، ردًا على مقتل قاسم سليمان على يد إدارة ترامب، عندما أطلق الحرس الثوري الإيراني ما بين 13 و 16 صاروخًا على قاعدة عين الأسد في العراق - على الرغم من عدم وفاة أي أميركي - فقد أصيب العشرات بإصابات دماغية، ولم تتخذ الولايات المتحدة أي إجراءات مضادة هجومية ردًا على ذلك.

خلط هجوم الحرس الثوري الإيراني على قاعدة الأسد صاروخين مختلفين: فاتح 313 يعمل بالوقود الصلب، وصاروخ وقود سائل. هذه الصواريخ لها مسارات طيران وزوايا توجيه مختلفة تمامًا.

تم اشتقاق عائلة صواريخ فاتح في الأصل من خط أساس صاروخي، وتتبع مسارًا شبه باليستي (مضغوط ومسطح)، بينما يتبع الرأس الحربي القابل للفصل لصاروخ قيامة مسارًا مرتفعًا، وحتى لو تم نشر أنظمة الدفاع الصاروخي لحماية القاعدة (لم تكن كذلك)، فإن هذا المزيج من شأنه أن يعقد عمل أجهزة الاستشعار والصواريخ الاعتراضية.

لقد أظهرت عملية عين الأسد قدرات عالية الدقة فاجأت حتى المراقبين العسكريين المخضرمين، بعد ذلك الهجوم، ومن الخطأ تصوير صواريخ إيران على أنها "أسلحة هجومية بدقة منخفضة"، كما اعتاد المحللون لسنوات عديدة.

ومع نمو قدرات الحرس الثوري الإيراني، وتوسع حجم ترسانات الصواريخ والطائرات بدون طيار الإيرانية بشكل كبير، ذكرت وكالة الاستخبارات الدفاعية الأمريكية في عام 2019 أن "إيران ترسل عددًا متزايدًا من الصواريخ الباليستية في مسرح العمليات، وتحسن مخزونها الحالي، وتطور القدرات التقنية التي يمكن أن تمكنها من إنتاج صاروخ باليستي عابر للقارات"، وقد تحول برنامج الطائرات بدون طيار من بناء الطائرات بدون طيار لمهام الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع (ISTAR) لبناء الأصول الضاربة في الغالب بكميات صناعية، عند الشروع في الهجوم، ويمكن للحرس الثوري الإيراني الآن الاختيار بين الهجمات الخاطفة، والقصف المكثف؛ ومن أخذ الانتماء المباشر لعملياتها، إلى الاختباء خلف وكيل.

ويسمح التطور والحجم المتزايد للترسانة التدميرية للحرس الثوري لإيران ووكلائها بدمج الصواريخ والطائرات بدون طيار، والذخائر المتسكعة في نفس "حزمة الضربة" - وهي ممارسة تفرض نفسها حتى على أحدث هياكل الدفاع الجوي والصاروخي، ويجسد مزيج الذخائر المتساقطة، والصواريخ الباليستية وصواريخ كروز التي أطلقها الحوثيون على الإمارات - في يناير الماضي - هذا الاتجاه، وتخلط ذخائر التسكع أجهزة الاستشعار، خاصة عند السرعات البطيئة، لأنها تتعامل مع عوامل "الفوضى الأرضية" - مثل الطيور والمباني الشاهقة والعواصف - بالإضافة إلى ذلك، يمكن لأسراب الذخائر المتسكعة، الأرخص في تكلفة الوحدة، تشبع الصواريخ الاعتراضية بسهولة، بفضل قدرتها الكبيرة على المناورة، ومهارات الملاحة على ارتفاعات منخفضة، تقلل صواريخ كروز من تعرضها للرادار، أو تجنبها له تمامًا.

أخيرًا، تأتي الصواريخ الباليستية بقوة وسرعة مثل الرصاصة، وتحمل رؤوسًا حربية كبيرة قادرة على إحداث دمار أكبر بكثير، ويشكل كل سلاح من هذه الأسلحة تحديًا خاصًا به لأجهزة الاستشعار، وأجهزة الاعتراض الخاصة بشبكة الدفاع الصاروخي، وعندما يتم الجمع بين الثلاثة بأرقام كبيرة، فإنهم سيوصلون أي شبكة إلى نقطة الانهيار.

لقد غيرت القدرة العسكرية التدميرية لإيران ميزان القوى في الخليج لسببين أساسيين، أولاً: تعمل اقتصاديات الدفاع بشكل قاطع لصالح طهران. تتفق أمريكا وحلفاؤها أموالاً أكثر - عشرات أو مئات المرات - لإسقاط الصواريخ والطائرات بدون طيار الإيرانية، مما يكلف إيران بنائها وإطلاقها. أوضح جيريمي بيني المتخصص في الدفاع في شركة الاستخبارات العالمية جينس، هذه النقطة مؤخرًا في مقابلة مع راديو أوروبا الحرة - راديو ليبرتي - فيما يتعلق بحرب أوكرانيا، في حين أن امتلاك المزيد من الصواريخ يمنح روسيا "القدرة على مواصلة القصف ضد أوكرانيا"، وإن تسليم بطاريات الدفاع الصاروخي باتريوت لن يحل المشكلة.

قال بيني: "إنها مكلفة للغاية، وربما لا تكون عملية أيضاً، لأن كل بطارية صواريخ تغطي مدينة واحدة فقط"، ولن تحصل على بطاريات كافية للتغطية التي تريدها، ولن تكون قادرًا على العثور عليها أو إنتاجها، وكذلك من الصعب تدريب عدد كافٍ من الأوكرانيين على استخدامها."

والأهم من ذلك كله، عندما يتم التعاملها مع حزمة كبيرة من الأهداف كحزمة واحدة، فإن بعض الصواريخ والطائرات بدون طيار الإيرانية ستخترق حتماً الدرع الدفاعي لأمريكا، حتى أن أكثر الأنظمة الدفاعية تطوراً التي تعمل بأقصى أداء لا يمكنها منع بعض الأسلحة الإيرانية على الأقل من إصابة بعض أهدافها. ففي هجمات يناير ضد الإمارات - على سبيل المثال - كان أداء الشبكة الدفاعية جيداً، لكن الناس ماتوا.

في الدفاع الصاروخي، معدل اعتراض 90% هو إنجاز فني ساحر، ولكن إذا تم اختراق 1 من كل 10 أو حتى 1 من كل 20 صاروخاً، فلن يمر وقت طويل قبل أن يبدأ "النجاح" بفرض تكلفة أعلى مما يهتم معظم القادة بدفعه.

تخيل لو أن أحد صواريخ إيران في الهجوم المتتالي على الإمارات انزلق عبر الشبكة الدفاعية وضرب برج خليفة. "النجاح" سيؤدي إلى فشل ذريع.

لقد أوجدت القدرة العسكرية التدميرية لإيران، بلغة عسكرية، "نظاماً مهيمناً على الهجوم" في الشرق الأوسط - توازن القوى الذي يفضل العمل الهجومى الإيراني، ما يسميه الجنرال ماكنزي "المبالغة في التطابق" يمثل

إخفاقًا من قبل أمريكا في الالتفات إلى قانون صارم في العلوم العسكرية مفاده أن الأنظمة الدفاعية وحدها لا تستطيع عكس النظام المهيمن على الهجوم.

إن الإجراءات المضادة الهجومية هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة التوازن - من خلال منطق الردع الأولي.

ولكي توقف إيران عدوانها، يجب أن يعتقد القادة في طهران أن أمريكا والقوات المتحالفة معها سترد على الاستفزات بفرض تكلفة لا تطاق، لكي تكون مقنعة حقًا، ويجب أن تمتلك القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها ما يكفي من القوة النارية للرد الفوري، كما يجب أن تظهر استعدادًا ثابتًا للقيام بعمليات هجومية.

لطالما كانت مثل هذه الاستراتيجية ذات الميول الاستباقية مركزية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية، على الرغم من حدوث بعض الهفوات الأخيرة تحت الضغط السياسي الأمريكي، ومن السهل أن نفهم لماذا أكدت إسرائيل منذ فترة طويلة على الهجوم على الدفاع، باعتبارها "دولة ذات قنبلة واحدة" يضرب بها المثل، حيث يتم إنشاء نسبة كبيرة من ناتجها المحلي الإجمالي في نطاق بضعة أميال مربعة من تل أبيب.

لا تستطيع إسرائيل الانتظار لمعرفة عدد القنابل أو الصواريخ التي تمر عبر "القبة الحديدية" المضادة للصواريخ - خاصة إذا كان هناك أي احتمال أن يحمل أحد الصواريخ المعنية "قنبلة قذرة"، ناهيك عن رأس حربي نووي.

كلما أصبحت الأنظمة الإيرانية أكثر تطوراً، يجب على الإسرائيليين أن يميلوا إلى الهجوم الاستباقي من أجل الحفاظ على الردع.

من خلال الوعد بدمج الأنظمة العسكرية الإسرائيلية مع أنظمة دول الخليج، عززت اتفاقيات أبراهام قدرة إسرائيل على القيام بعمل هجومى، وهو ما جعل من الممكن لإسرائيل - وفقاً للمنطق المتناقض للاستراتيجية العسكرية - أن تتبنى موقفاً أكثر استرخاءً إلى حد ما تجاه التهديد الإيراني، ومع ذلك فإن التطور المتزايد لحزم الطائرات بدون طيار والصواريخ التابعة للحرس الثوري الإيراني، جنباً إلى جنب مع استراتيجية "التكامل الإقليمي" المفضلة

لإدارة بايدن، التي أبرزتها مؤخرًا صفقة الغاز الإسرائيلية التي ترعاها الولايات المتحدة مع حزب الله، تجعل الموقف الأكثر استرخاءً أقل استدامة.

إن استراتيجية "التكامل الإقليمي" لإدارة بايدن، التي تأسست على فكرة "توازن الردع"، عن قصد من التهديد الذي يمكن أن تشكله إسرائيل للحرس الثوري الإيراني ووكلائه، مما يجعل هجومًا إيرانيًا أكثر احتمالية - مع تقييد أي رد إسرائيلي.

إن حلفاء أمريكا الخليجيين أقل قدرة على تهيئة ردع هجومي لمواجهة إيران، لأنهم ببساطة لا يمتلكون الحجم والقوة العسكرية لمضاهاة خطوة الحرس الثوري الإيراني إذا قرر صعود سلم التصعيد العسكري.

إن إيران الآن تمتلك واحدة من أكبر ترسانات الصواريخ في العالم، وهي كبيرة بما يكفي في القوة النارية الخام، لتحويل المدن الرئيسية في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة إلى أنقاض.

بالنسبة للقادة في الرياض وأبو ظبي، فإن قصف أوكرانيا من قبل روسيا اليوم، وتدمير روسيا وإيران للمدن السورية في الماضي القريب، هي تحذيرات الانتباه وتحمل مسؤولياتهم إذا اتخذوا إجراءات مضادة هجومية ضد إيران، فسيتم تدمير الأحياء السكنية في مدنها الرئيسية، وتسويتها بالأرض، وتدمير بنيتها التحتية الوطنية الحيوية.

الشيء الوحيد الذي قد يقنعهم بالمشاركة - بشكل مباشر أو غير مباشر - في الإجراءات المضادة الهجومية ضد إيران هو تعهد صارم من بايدن بأنه سيردع صواريخ الحرس الثوري الإيراني وطائراته بدون طيار، لكن كمسألة تتعلق بالسياسة، و بايدن يرفض تقديم مثل هذا التعهد.

قبل تقاعده في أبريل الماضي، أصدر الجنرال ماكنزي "بيان الموقف" للقيادة المركزية الأمريكية، وهو التقرير السنوي غير السري المقدم إلى الكونجرس، الذي يكتبه كل قائد مقاتل، ويلخص التحديات في منطقة عملياتهم واستعداد القيادة لمواجهتها.

كان تصريح الجنرال ماكنزي هو مثال ممتاز من نوعه، والوثيقة تمشي في الخط الرفيع بين البقاء مخلصين للأوامر، وفي الوقت نفسه دق ناقوس

الخطر بأن الأوامر غير كافية، وحول الإجراءات المضادة للهجومية، لا يتحفظ ماكنزي عن أي كلمات، وكتب: "على الرغم من أن الولايات المتحدة تقدم معلومات ومساعدة دفاعية للقوات المسلحة السعودية والإماراتية، إلا أنها لا تقدم دعمًا عسكريًا هجوميًا."

عندما يسعى الحلفاء القلقون للحصول على التزامات من الولايات المتحدة في شكل مبيعات أسلحة، فإنهم يواجهون نفس القلق؛ إن أمريكا سعيدة ببيع أنواع كثيرة من الأسلحة، وليس فقط الأنواع التي توازن بشكل مباشر قدرات إيران - وبالتحديد الصواريخ بعيدة المدى والطائرات بدون طيار.

هذا الرفض - أيضًا - من غير المرجح أن يتم عكسه، لأنه يقوم على عمليات الموافقة الملتوية المضمنة في القانون، وفي حالات نادرة فقط، قامت الولايات المتحدة بتسليم صواريخ باليستية إلى الحلفاء، وقد تبنت لسنوات ضبطًا مشابهًا فيما يتعلق بتوفير الطائرات بدون طيار، وعلى الرغم من أن القيود المفروضة على صادرات الطائرات بدون طيار قد خففت إلى حد ما في السنوات الأخيرة، إلا أن تبسيط العملية لا يزال صعبًا لعدة أسباب - ليس أقلها حقيقة أن موافقة الكونغرس مفروضة بموجب القانون. ونتيجة لذلك، يمكن للرئيس فقط تجاوز الروتين.

إن فرص بايدن في اتخاذ مثل هذا الإجراء الضروري في المناخ السياسي الحالي ضئيلة، إنهم يزدادون تراجعًا عند النظر إلى أن معظم كبار مستشاري بايدن، وجميعهم تقريبًا من خريجي إدارة أوباما، قد أقنعوا أنفسهم بأن الإجراءات المضادة للهجومية ضد إيران، وهي حجر الأساس للردع، تؤدي بطبيعتها إلى نتائج عكسية.

خذ بعين الاعتبار أمر ترامب، في يناير 2020، بقتل الجنرال قاسم سليمان، الذي كان قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، سليمان هو مهندس الاستراتيجية العسكرية التدميرية لإيران، وثاني أقوى رجل في إيران، أعطى ترامب الأمر بقتله لردع إيران، ولتعليم القادة في طهران أن العمليات ضد القوات الأمريكية ستكون مكلفة للغاية.

سوزان رايس، التي عملت سابقًا كمستشارة للأمن القومي للرئيس أوباما والتي تعمل الآن في عهد بايدن كمستشار للسياسة الداخلية، انتقلت إلى

صفحات صحيفة نيويورك تايمز للتعبير عن الرأي السائد في أوساط كبار الديمقراطيين، وكتبت في ذلك الوقت: "على الرغم من رغبة الرئيس ترامب المعلنة في كثير من الأحيان في تجنب الحرب مع إيران، والانسحاب من الاشتباكات العسكرية في الشرق الأوسط، فإن قراره بإصدار أمر بقتل ثاني أهم مسؤول في إيران الآن يدخل بلدينا في دورة تصعيدية خطيرة، من المرجح أن تؤدي إلى حرب أوسع."

من وجهة نظر كبار المسؤولين في إدارة بايدن، فإن الإجراءات المضادة الهجومية ضد إيران؛ ستقضي على إمكانية العودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة، كما ستدفع إيران إلى التقارب مع الصين وروسيا.

في أثناء سعيه للحصول على الرئاسة في عام 2020، شن بايدن حملة على فكرة أن التواصل الدبلوماسي مع إيران كان - على حد تعبير مقال رأي نُشر باسمه - "طريقة أكثر ذكاءً" لاحتواء شبكة وكلاء الحرس الثوري الإيراني، ومنعها من تطوير السلاح النووي.

إن قرار بايدن بتبني إجراءات هجومية رادعة ضد إيران من شأنه أن يضعه في مسار تصادمي مع الجناح اليساري لقاعدته، ولا يمكن أن يُتوقع من إدارة بايدن، الغارقة في متاهة من الأفكار السيئة، والاعتبارات السياسية المحلية، أن تصحح الوضع الذي سمح لإيران بامتلاك منافسة مفرطة ضد الولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط، وستون الأضرار الناتجة على حلفاء أمريكا كبيرة.

لا شيء يحبط معنويات القادة السعوديين والإماراتيين والإسرائيليين أكثر من مشهد القوات الأمريكية التي ترفض الدفاع عن نفسها، ولنأخذ في الاعتبار خلفية الهجوم المزدوج على الإمارات والسعودية في يناير الماضي، ولعدة سنوات قبل الهجوم، زودت إيران قوات الحوثي بطائرات بدون طيار وصواريخ باليستية وصواريخ كروز وذخائر متسكعة وأسلحة ساحلية وتقنيات ذات صلة، وعلى حد تعبير بيان الموقف للجنرال ماكنزي، فإن توفير هذه القدرات للحوثيين شكل "التهديد الأكثر تعقيدًا وترتيبًا على القوات الأمريكية والشريكة والقوات المتحالفة".

الضابط الإيراني الذي كان - وما يزال - مسؤولاً على الأرض في اليمن هو عبد الرضا شهلاي، وهو رجل مسؤول عن مقتل عدد من الأمريكيين أكثر من أي شخص آخر على قيد الحياة، كان شاهلاي يشغل منصب نائب قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، والمساعد المقرب لقاسم سليمان، ويتمتع بخبرة واسعة في العراق، حيث كان مسؤولاً - من بين أمور أخرى - عن تنظيم هجمات على القوات الأمريكية، وفي عام 2011 لعب دوراً تنظيمياً كبيراً في مؤامرة اغتيال عادل الجبير، السفير السعودي لدى الولايات المتحدة، في مطعم في واشنطن العاصمة، بتوجيه من شهلاي، وتشجعاً بتراجع الدعم الأمريكي للتحالف الذي تقوده السعودية في اليمن، شن الحوثيون أكثر من 325 هجوماً عبر الحدود بطائرات مسيرة وصواريخ في العام السابق للهجوم على الظهر، وقد عرّض عدد كبير من هذه الهجمات المواطنين الأمريكيين وأفراد الجيش للخطر، وخلال الفترة نفسها، هاجم وكلاء إيران في العراق القوات الأمريكية بشكل مباشر عشرات المرات.

بعد الهجوم الصاروخي الباليستي في 24 يناير على القوات الأمريكية، التقى مستشار الأمن القومي الأمريكي جيك سوليفان، مع سفير السعودية والإمارات لدى الولايات المتحدة، وبحسب الملخص الرسمي للاجتماع، فإن الثلاثة لم يناقشوا الهجوم بالصواريخ الباليستية الإيرانية على القوات الأمريكية، وإنما "الهجمات الحوثية المستمرة ضد أهداف مدنية في الإمارات والسعودية، التي أسفرت عن سقوط ضحايا مدنيين في كلا البلدين"، وبعبارة أخرى، فسر سوليفان الهجمات علناً كجزء من منافسة ثنائية حول اليمن بين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة من جهة، والحوثيين من جهة أخرى - مبعداً تماماً الدور الإيراني في الهجمات، ذلك لأن أي اعتراف علني بالدور الحاسم لطهران سيضع إدارة بايدن أمام أسئلة كثيرة محرجة حول الكيفية التي تخطط بها لمواجهة إيران، لأن الإدارة ليس لديها مثل هذه الخطة، وليس لديها نية لاعتماد واحدة.

يتساءل الإماراتيون والسعوديون، ويقولون: إذا لم يدافع الأمريكيون عن أنفسهم، كيف سيدافعون عنا؟ ومع ذلك، هناك شيء واحد من الواضح أن إدارة بايدن مجبرة على الدفاع عنه: خطة العمل الشاملة المشتركة؛ فمنذ ما يقرب من عامين، طرحت الإدارة الأمريكية فكرة إحياء الاتفاق النووي كخطوة أولى

أساسية لحل جميع المشكلات المتعلقة بإيران، ومع ذلك، فإن العودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة، لن تقلل من فجوة الردع التي خلقتها القدرة العسكرية التدميرية لإيران.

لفهم السبب ، فكر في صاروخ نور المضاد للسفن، الذي استخدمه حزب الله ضد إسرائيل في عام 2006 لشل حركة INS Hanit، سفينة حربية من طراز Sa'ar من فئة 5 تابعة للبحرية الإسرائيلية، في ذلك الوقت لم تكن إسرائيل على علم بأن حزب الله يمتلك سلاحًا من هذا النوع، فسحبت السفينة هانيت إلى الميناء، وتم إبعادها من القتال طوال مدة الحرب.

كيف حصل الإيرانيون على هذه التكنولوجيا؟ تختلف التفسيرات، لكن من المحتمل أنهم قاموا بإجراء هندسة عكسية لصاروخ صيني، سي-802، وهو نظير صيني لصاروخ إكسوسيت الفرنسي الشهير، ومع ذلك، فإن مقارنة Noor – Exocet يشبه مقارنة صورة أصلية بنسخة ضبابية من نسخة من تلك الصورة، وبعبارة أخرى، عطل حزب الله سفينة حربية حديثة مع نسخة مطورة من النظام الغربي الذي كان عمره ثلاثة عقود.

وإذا تم إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة، فسوف تلجأ إيران إلى الموردين الغربيين لتحديث صناعاتها الدفاعية المحلية، وستكون شبكة المشتريات التابعة للحرس الثوري الإيراني قادرة على شراء أنظمة فرعية جاهزة من الصواريخ والطائرات بدون طيار، وكذلك المحركات الجوية وأنظمة التوجيه والملاحة وأجهزة الاستشعار المتقدمة وأجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمهام وأنظمة ربط بيانات القيادة والتحكم والمزيد.

سيسمح التحسين الذي ستجريه هذه العناصر للأنظمة الحالية للصواريخ والطائرات بدون طيار الإيرانية بالتقدم بسرعة، متخطية جيل أو جيلين في بضع سنوات قصيرة، علاوة على ذلك، ستحقق إيران هذه التطورات مع الاعتماد على الدروس المستفادة من النزاعات الساخنة في كل من الشرق الأوسط وأوكرانيا، وإن التقييم المهني لسجل القتال الحقيقي هو أثنى نوع من المدخلات للصناعات الدفاعية التي تسعى إلى تحسين منتجاتها.

إن هذه التنبؤات تتطلب كرة بلورية، حتى في ظل العقوبات الشديدة، أصبحت إيران بالفعل مصدرًا للسلاح، وليس فقط لحزب الله والحوثيين

وأعضاء آخرين في "محور المقاومة"، بالإضافة إلى روسيا، زودت طهران إيثوبيا وفرنزويلا بطائرات بدون طيار، وتقوم ببناء مصنع للطائرات بدون طيار في طاجيكستان، وبحسب ما ورد تستكشف صفقات أسلحة مع أرمينيا وصربيا والجزائر، من بين دول أخرى، فإن قائمة الدول ستزداد بلا شك، حيث يرى العالم فاعلية الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية في أوكرانيا.

إذا استوردت فرنزويلا اليوم سومار، وهو صاروخ كروز إيراني بعيد المدى، يعتمد على خط الصواريخ السوفيتي الروسي Kh-55 ، فمن المحتمل أن تواجه صعوبة في ضرب أهداف داخل الولايات المتحدة، ومع ذلك، فإن مداها سيزداد بمجرد أن تسهل خطة العمل المشتركة الشاملة في دمج المكونات الغربية، وستقع مدن مثل ميامي ونيو أورلينز بسهولة في مرمى نيران النظام المناهض للولايات المتحدة في كاراكاس ، مما يشكل تهديدًا استراتيجيًا مباشرًا للوطن الأمريكي.

لنفترض جدلاً أن JCPOA لم يتم إحيائها أبدًا. ولنفترض أيضا أن إيران لا تزال تخضع لعقوبات أمريكية قاسية، فليسوء الحظ، ستستمر القدرة العسكرية التدميرية لإيران في الارتفاع، لأنها وصلت بالفعل إلى مرحلة حرجية، مما يعني أنها ستستمر في النمو حتى في ظل أقصى أنظمة العقوبات، والدليل على ذلك أمام أعيننا، في شكل حاجة الجيش الروسي إلى إمداد واسع النطاق بالأسلحة الإيرانية لمواصلة حملته في أوكرانيا.

يمكن الآن لشبكة الصناعات الدفاعية التابعة للحرس الثوري الإيراني تزويد ثاني أكبر مصدر للأسلحة في العالم، وتصبح إيران موردا أساسيا لروسيا، وستستمتع إيران بدعم موسكو، وهي تعمل على تطوير أسلحتها.

إن طهران في نظر الكرملين ليست مجرد شريك استراتيجي في الشرق الأوسط، وإنما هي مورد أسلحة مهم جاء لمساعدة بوتين في ساعة حاجته، ومن الآن فصاعدًا، ستبذل روسيا كل ما في وسعها لضمان استمرار وصول الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية إليها، ولا عودة في ذلك.

مع أو بدون خطة العمل الشاملة المشتركة، ستتمو برامج الطائرات بدون طيار، والصواريخ الإيرانية، وستتوسع بشكل أسرع بكثير في ظل اتفاق نووي

متجدد، لذلك ومن وجهة نظر القادة في الرياض وأبو ظبي، فإن المبالغة الإيرانية هي ، في الواقع ، جانب دائم من جوانب الحياة.

يقود واقع التجاوز الإيراني المفرط الآن عدد مذهلاً من التحولات الدبلوماسية في الشرق الأوسط، خلال العام الماضي وحده، أنهت الإمارات، من بين تحركات أخرى ، تنافساً مريراً مع تركيا دام عقداً من الزمن، وحسّنت العلاقات مع إسرائيل وإيران في وقت واحد، وانفتحت على نظام الأسد، فيجب أن تُفهم هذه، على أنها تحركات تجاه إيران وحليفها الأسد من أجل كسب حسن النية في طهران (ناهيك عن واشنطن، حيث تبدو إدارة بايدن تتجه بشكل إيجابي على المشاركة الدبلوماسية للجمهورية الإسلامية) مع تطوير العلاقات في الوقت نفسه مع الطرفين.

القوى الإقليمية، إسرائيل وتركيا- كلُّ على طريقته - قادر على موازنة القوة الإيرانية، والهدف هو تقليل التهديد الإيراني قدر الإمكان، مع زيادة عدد الأصدقاء الذين يمكنهم المساعدة في إدارته.

تم كل هذا النشاط على خلفية العلاقات الإماراتية الوثيقة بشكل متزايد مع الصين، في ربيع عام 2021، علمت وكالات الاستخبارات الأمريكية، وفقاً لصحيفة وول ستريت جورنال، أن الصين تبني سراً ما تشتهه في أنه منشأة عسكرية في الإمارات العربية المتحدة، ومن بين جميع أشكال التحوط من قبل حلفاء أمريكا الخليجيين، فإن التحوط تجاه بكين هو الذي يجب أن يثير قلق واشنطن أكثر من غيره.

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة على الساحل الجنوبي لمضيق هرمز، الذي يمر عبره حوالي ثلث الغاز الطبيعي المسال في العالم، وربع نفطه، وبعد لوي الذراع من واشنطن، أغلق الإماراتيون مشروع البناء العسكري الصيني. ولو تم الانتهاء منه، لكانت المنشأة ثاني قاعدة للصين تطل على نقطة الاختناق في الشرق الأوسط، أولها قاعدة دعم جيش التحرير الشعبي الصيني في

جيبوتي، على الرغم من وجودها من الناحية الفنية في إفريقيا، إلا أن قاعدة جيبوتي تقع على بعد 20 ميلاً فقط من اليمن، وهي تراقب مضيق باب المندب، الذي يحرس مداخل البحر الأحمر إلى قناة السويس من المحيط الهندي، والذي يمر عبره معظم النفط الذي تصدره دول الخليج إلى أوروبا - حوالي 3.6 مليون برميل يوميًا، ويتدفق نحو 2.6 مليون برميل يوميًا من خلاله في الاتجاه المعاكس، بشكل رئيسي إلى الأسواق الآسيوية، بما في ذلك الصين، من منتجين أوروبيين وأفارقة.

المنافسة الأكبر لأمريكا منذ الاتحاد السوفيتي هي المنافسة لإدخال تجارة الناقلات العالمية في المجال، ولا يتطلب الأمر سوى القليل من الخيال لفهم السبب، تعتمد الصين ومنافسيها في شرق آسيا بشكل كبير على النفط والغاز الطبيعي المسال؛ الذي ينشأ في الشرق الأوسط، أو يمر عبره.

إذا شن شي جين بينغ غزوًا لتايوان، فقد تفرض واشنطن حصارًا للطاقة على الصين، هذا الخيار هو أحد أعظم أدوات أمريكا لردع أي هجوم، وإدراكًا منه تمامًا لهذه الثغرة الأمنية، يطمح شي إلى أن يحل محل الولايات المتحدة كقوة مهيمنة في الشرق الأوسط؛ ومن خلال تحقيق هذا الهدف، ستؤمن بكين في الوقت نفسه خطوط الإمداد الصينية، مع وضع إبهامها على القصبنة الهوائية لمنافسيها، بما في ذلك تايوان.

هؤلاء المحللون الذين يصرون على أن الصين لا تسعى إلى أن تحل بدل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، يعتمدون في حجتهم على الادعاء بأن مصالح الصين في المنطقة تجارية بشكل تام، وإذا كانت بكين تريد أن تتدخل في الشؤون الأمنية، حسب الجدول المثار، فسيتعين عليها أن تتدخل في نزاعات مريرة، مثل تلك التي بين إيران وخصومها، وبدلاً من ذلك، تسعى بكين إلى إقامة علاقات جيدة مع جميع الأطراف، حتى لا تُصبح خارج أي سوق، وتكون حرة في الشراء والبيع من الجميع، بالإضافة إلى ذلك، يشير المحللون إلى أن بكين ليس لديها عضلات التحالف لتوفير ضمانات أمنية موثوقة، ودعمها بالتسليم المستمر لأسلحة متطورة، ولا تستطيع بكين ببساطة أن تقدم لحلفاء أمريكا ما يريدون، أكثر من الآخرين - أي الحماية من إيران- ويمكن للولايات المتحدة فقط توفير المظلة الأمنية اللازمة.

هذه النقاط ليست خاطئة بقدر ما هي مبالغ فيها، فالتعزيزات البحرية الصينية هي الأسرع التي شهدتها العالم على الإطلاق، في غضون حوالي عقد من الزمان، وسيكون للبحرية الصينية قوة استكشافية قادرة على التدخل في جميع أنحاء العالم، في حين أن بكين لا تملك حتى الآن القوة الكافية لانتزاع حلفاء أمريكا بضربة واحدة، ومع ذلك فإنها تتسابق نحو الحصول على تلك القوة - بمساعدة صانعي السياسة الأمريكيين في واشنطن، الذين يحرمون حلفاء الولايات المتحدة من قدرتهم على مواجهة التهديد الإيراني لبلدانهم.

لم يول المحللون الأمريكيون داخل الحكومة وخارجها سوى القليل من الاهتمام لتغيير مسار شي في عام 2016 ، عندما اتخذت المنافسة مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط منعطفًا عسكريًا صريحًا.

كانت هذه هي السنة التي قرر فيها شي لأول مرة بناء القاعدة في جيبوتي، ففي يناير من ذلك العام، زار المنطقة، وتوقف في المملكة العربية السعودية ومصر وإيران، التي حظيت بزيارته باهتمام خاص، أثناء وجوده في طهران، حيث صاغ هو ومضيفوه "شراكة استراتيجية شاملة" لمدة 25 عامًا، تم الانتهاء منها بعد خمس سنوات، في عام 2021.

لا تزال التفاصيل الدقيقة للاتفاقية غير معروفة، لكن التقارير المؤكدة تشير إلى أن الصين تعهدت باستثمار 400 مليار دولار، مقابل عرض مخفض للنفط، كما ستعمل القوتان على زيادة تعاونهما في مجالي الأمن والدفاع، بما في ذلك تطوير الأسلحة، وفي وقت لاحق، بدأت الصين أيضًا عملية حصول إيران على العضوية الكاملة في منظمة شنغهاي للتعاون، وهي العملية التي أتت ثمارها في سبتمبر.

إن مغازلة الصين لإيران، كما قد يتوقع المرء، لم تنفر الرياض وأبو ظبي، بل على العكس من ذلك، فقد أشعلت شرارة منافسة على النفوذ في بكين - منافسة يسعد شي إذكاءها، وعشوية رحلته، نشرت الحكومة الصينية أيضًا "ورقة سياسة عربية"، وعدت من بين أشياء أخرى، "بتعميق التعاون في مجال الأسلحة والمعدات والتقنيات المتخصصة المختلفة" وعززت جمهورية الصين الشعبية مكانتها كمورد للأسلحة في المنطقة، حيث قدمت معدات عسكرية إلى المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، من بين

دول أخرى، بأسعار مخفضة، وبدون شروط مسبقة، في محاولة، وفقاً لبيان موقف الجنرال ماكنزي، "لتحل محل الولايات المتحدة".

نتيجة لذلك، زادت الصين مبيعاتها من الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة بنسبة 386% و 169% على التوالي خلال فترة الأربع سنوات السابقة.

الأسلحة المحددة التي تشتريها الإمارات والسعودية تتحدث عن كميات كبيرة، تشتري كل من أبو ظبي والرياض طائرات بدون طيار من الصين، في عام 2016، أبرمت الصين والمملكة العربية السعودية صفقة لإنشاء مصنع مشترك لإنتاج الطائرات بدون طيار في المملكة، مع تراخيص إعادة التصدير اللازمة، ويمكن لهذا المصنع أيضاً أن يحول المملكة العربية السعودية إلى مركز تجاري لبيع الطائرات الصينية بدون طيار للعملاء في الشرق الأوسط.

لا تقدم بكين طائرات بدون طيار إلى أقرب حليف عربي لأمريكا وأكثرها نفوذاً فحسب، بل إنها تحول الرياض إلى مورد للتكنولوجيا الصينية لأصدقاء أمريكا الآخرين في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى الطائرات بدون طيار، تشتري الرياض صواريخ باليستية (بينما تتلقى أيضاً المساعدة في برنامجها النووي).

في أوائل التسعينيات، اشترت الرياض صواريخ باليستية أرض - أرض من الصين، يمكنها حمل رؤوس حربية نووية تصل إلى 3000 كيلومتر، لكن في عام 2007، اشترى السعوديون صواريخ أكثر دقة ذات مدى أقصر بكثير.. لماذا هذا التحول؟ كانت الرياض تتابع عن كثب تطوير ترسانة إيران وتستحوذ على أنظمة مصممة للتصدي لها.

إن إنفاق المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة 10 أو 20 مرة على الأسلحة الأمريكية أكثر مما تنفقه مع الصين، وهذا ما يريح المحللين الأمريكيين الذين يرون القليل من الحسابات الاستراتيجية وراء مبيعات بكين العسكرية.

إن الاستثمار الضخم في الأسلحة والمعدات الأمريكية يثبت لهم أن الصين لا تشكل أي تهديد، لكن المقارنة بين الدولار مقابل الدولار تتجاهل هذه الحقيقة المهمة.

من الناحية الاستراتيجية: تمتلك الصين الآن التوازن بين إيران ودول الخليج فيما يتعلق بالأسلحة ذاتها التي تمنح إيران تفوقها العسكري التدميري، وقد نجح شي جين بينغ في إقحام الصين في ميزان القوى بين حلفاء أمريكا الخليجيين وإيران.

وتزداد أهمية هذه الحقيقة عند التفكير في ميزة إضافية، في نظر حلفاء أمريكا، تتميز بها الصين على الولايات المتحدة، حيث لبكين نفوذ في طهران وإنها القوة الوحيدة التي تستطيع فعل ذلك، وليس صحيحاً تماماً القول إن الولايات المتحدة وحدها لديها الأدوات لمساعدة حلفائها على احتواء إيران.

لا شك أن لدى واشنطن أدوات عسكرية لا مثيل لها، لكنها ترفض بشدة استخدامها، في المقابل، تتمتع الصين بنفوذ سياسي قوي، وتعمل على تطوير الأدوات العسكرية التي تحتاجها لتحقيق أهدافها الاستراتيجية.

بعد الانسحاب من أفغانستان، يعتقد حلفاء أمريكا أن الولايات المتحدة من المرجح أن تغادر الشرق الأوسط، على النقيض من ذلك، تصرخ الصين بصوت عالٍ بأنها ستصبح قريباً لاعباً رئيسياً في المنطقة، وإن مشتريات الأسلحة لأبو ظبي والرياض ليست سوى جزء واحد من التحولات تجاه القوة الصاعدة.

خذ على سبيل المثال حالة دولة الإمارات العربية المتحدة، فبالإضافة إلى شراء الأسلحة الصينية، تعمل أبو ظبي أيضاً مع الشركات الصينية في المجالات التي قد يطلق عليها "الدفاع المجاور"، مثل الذكاء الاصطناعي، واستكشاف الفضاء والاتصالات، ويفسره المحللون الأمريكيون المقتنعون بهذا التعاون باعتباره نشاطاً "تجارياً"، لكنه يأتي محملاً بآثار استراتيجية سلبية على الولايات المتحدة.

ويوضح الجدل حول جهود الإمارات لشراء مقاتلة F-35 Joint Strike Fighter حجم المشكلة، عندما رفض الإماراتيون التراجع عن اتفاقهم مع

شركة Huawei لبناء البنية التحتية للاتصالات 5 G، رفضت الولايات المتحدة متابعة التزامها ببيعهم طائرات F-35 ، التي تعد العمود الفقري للطيران العسكري التكتيكي من الجيل الخامس، وكانت الإمارات ستصبح الدولة العربية الوحيدة التي حصلت على قبول في نادي F-35 وبلغ إجمالي الإيرادات المفقودة لأمريكا، في التكاليف الأولية وحدها، 23 مليار دولار.

لقد تم تخفيض تصنيف الإمارات العربية المتحدة فعليًا كشريك دفاعي أمريكي، ربما بشكل دائم.

وباستخدام مبيعات الأسلحة الصغيرة والمعاملات التجارية نسبيًا، استطاع الرئيس الصيني بالفعل دق إسفيننا كبيرًا جدًا بين الولايات المتحدة وحلفائها الخليجيين، وإذا لم تغير أمريكا مسارها قريبًا، فإن الفجوة التي أحدثتها شي من خلال الاستفادة من التهديد الإيراني ستستمر في الاتساع، لصالح تمكين الصين.. وترك أمريكا في العراق.